BURHANAH WUJŪD ALLĀH WA TAFNĪD AL-NAẔARIYYAH AL-DARWĪNIYYAH MIN MANẔŪR AL-NURSĪ

***Amad Kazim Muhammad Soleh*[*], *Mustaffa `Abdullah*[**]**

[*]University of Duhok. 1006 Duhok. Kurdistan. Iraq.
[**]Akademy of Islamic Studies. University of Malaya. 50603. Kuala Lumpur. Malaysia

Email: [*]amadkurde@yahoo.com. [**]mustaffa@um.edu.my

Khulasah

Kajian ini membincangkan pemikiran Badi` al-Zaman al-Nursi dan pendekatannya dalam menegakkan kebenaran iman seperti kewajipan kewujudan Allah melalui penghujahan berdasarkan al-Quran, pendalilan ilmiah, penghujahan akal melalui pendekatan ahli falsafah, ahli mantik dan ahli kalam, serta kritikan terhadap falsafah kebendaan dan teori Darwinisme seperti teori Evolusi dan *Natural Selection* (teori evolusi yang terjadi melalui pemilihan alam). Kritikan al-Nursi terhadap teori-teori tersebut dikemukakan berdasarkan pendekatan falsafah dalam usaha menolak dan menafikan dasar teori-teori tersebut. Pendekatan al-Nursi adalah bersifat semasa dan menepati kehendak al-Qur'an serta selari dengan keperluan perdebatan yang berlaku di antara Islam dan saingannya.

Kata kunci: Al-Nursi; al-Qur'an; penghujahan akal; Darwinisme; Teori Evolusi.

Abstract

This study briefly shows a reformist thoughts of Badi` al-Zaman al-Nursi, as well as his role in proving the truth of faith as there must be a God, with comprehensive methodological arguments consisting of Quranic methodology, scientific evidence,

philosophical and logical arguments, and refute philosophy of materialism and Darwinism such as theory of evolution and the theory of natural selection. This study also try to negate it by using a philosophical approach against defective thought and replace it with other methodologies which compatible with spirit of the Quranic revelation and suit with the requirements of the conflict between Islam and its rivals.

Keywords: Al-Nursi; al-Qur'an; logical arguments; Darwinism; Theory of Evolution.

المقدمة

الحمد لله الباعث لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

يعد الإيمان بوجود بالله ووحدانيته نبراساً لكل سالكٍ باحثٍ عن الحقيقة، وأساساً يبتنى عليه عقيدة التوحيد، ويظل صلاح أمور الدين والدنيا مرهونًا بصلاح التوحيد في العقول والقلوب. وهذا ما دفع بديع الزمان سعيد النورسي إلى بذل جل فكره، وتوظيف طاقاته كلها في سبيل انقاد إيمان المستغربين من المسلمين، والرد على شبهات المستشرقين والملحدين.

واتخذ من رسائل النور وسيلةً لإعادةِ بناءِ التوحيد على أسسٍ منهجيةٍ محكمةٍ مبنيةٍ على الحجج البرهانية التي تفيد اليقين الجازم، والحجج الجدلية التي تلزم الطرف المخالف، والحجج الخطابية المبنية على الظن الراجح المقبول عقلاً ومنطقاً. وقد التزم الإمام بالمنهج

القرآني في تناوله قضية توحيد الله وكذلك اعتمد على الفلسفة وعلم الكلام بعد تنقيتهما من الأمور التي تخالف العقيدة الصحيحة في إثبات وجود الله تعالى وعصمة رسالته الخاتمة. وسأحاول في هذا البحث إبراز منهجه في برهنة وجود الله، وطريقته في نقض النظرية الدارونية. وتكمن أهمية هذه الدراسة في إثبات دور هذا الإمام الجليل في تجديد معالم الدين وإحيائه، وإزالة الغبش الفكري عن عقول المتأثرين بالحضارة الغربية، وبيان فساد أفكار خصوم الإسلام. واقتضت طبيعة الدراسة أن نقسمها على مبحثين، هما:

المبحث الأول

برهنة حقيقة وجود الله

إن قضية وجود خالقٍ مدبرٍ للكون من الأمور المسلمة بالفطرة عند البشرية، والإلحاد مسألة شاذة وطارئة عليها. وقد خاض في هذه القضية الفلاسفة قديماً وحديثاً فاتفق أغلبهم على الإيمان بوجود خالق للكون مدبر له، غير أنهم اختلفوا في ماهيته وحقيقته. وتكلم في ذلك متقدمي فلاسفة المسلمين ومتكلميهم واستدلوا على وجوب وجوده بالأدلة الفلسفية والمنطقية والكلامية فضلاً عن الأدلة النقلية، وقد تناول متكلم العصر الجديد بديع الزمان النورسي قضية وجود الله ووحدانيته بمنهجية متكاملة مبنية على التجديد في العرض والتحليل، إذ اعتمد على المنهج القرآني في برهنة واجب الوجود واتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ما يتناسب مع العقيدة السليمة المبنية

على القرآن والسنة بأسلوب جديد يوافق روح العصر وتحدياته، فقد مزج بين الأدلة المتنوعة مزجاً يزيل به شكوك المستغربين من المسلمين ويهدم شبهات المنكرين. ومن الأدلة التي اعتمد عليها:

١- الأدلة القرآنية، ٢-الأدلة الكونية العلمية، ٣-الأدلة الفلسفية الكلامية، ٤-دليل الفطرة والوجدان الحي.

أولًا: الأدلة القرآنية على وجود الله

قسم الأستاذ سعيد النورسي الأدلة القرآنية على نوعين:

النوع الأول: دليل العناية والغاية، والثاني: دليل الاختراع، ولا يخفى أن تقسيمه هذا جاء موافقاً لتقسيم الفيلسوف ابن رشد الحفيد(ت:٥٩٥هـ)[١]، والدليلان مستنبطان من القرآن الكريم، وينتميان منهجياً لحقل الدراسات الفلسفية الإسلامية.

النوع الأول: دليل العناية والغاية:

أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة[٢] إلى أن العناية الفائقة بالكون والمخلوقات وتسخيرها للإنسان في أكمل وجه دليلٌ على وجود مدبر

---

(١) ينظر: ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تحقيق: محمد عابد الجابري (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)، ص،١١٨.

(٢) على سبيل المثال قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(البقرة: ٢٩) ، وينظر :سورة الفرقان:٦١-٦٢، والقصص:٧١-٧٣، وفاطر:٤١، والنبأ:٦-١٦. وغيرها كثير.

حكيم لهذا الكون. وقد تناول الأمام النورسي دليل العناية والغاية في معرض استدلاله على وجود الخالق إذ قال:"إذ النظام المندمج في الكائنات، وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفياً قاطعاً وهم المصادفة والاتفاق الأعمى"[٣]، وبعد أن فصل القول في عالم الكون والحيوان والإنسان قال:" وكل فرد من هذه الأنواع الوفيرة كأنه ماكنة بديعة عجيبة تبهر الأفهام. فلا يمكن أن تكون القوانين الموهومة الاعتبارية والأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة، موجدة لهذه السلاسل العجيبة من الأفراد والأنواع. أي أن كل فرد، وكل نوع، يعلن بذاته أنه صادر مباشرةً من يد القدرة الإلهية الحكيمة"[٤] وقد استدل الأستاذ بقوله تعالى: **{فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}**(الملك: ٣)، وبخواتيم الآيات وفواصلها -(أولا يعلمون)، (أفلا تذكرون)،(فاعتبروا)- على وجوب التفكر في المخلوقات، وإعمال العقل وتحرك الوجدان في دليل العناية الربانية والغاية التي من أجلها أوجد الكون وسخره للإنسان[٥].

ووجه الاستدلال في كلامه إن العناية الإلهية هي علم الله الأزلي بخلق الكائنات على أكمل وجه وأحسن نظام والعناية الفائقة بالكون

---

(٣) سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري**، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:٤١٨.

(٤) سعيد النورسي، **صقيل الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:١١٥.

(٥) النورسي، **المثنوي العربي النوري**، المصدر السابق، ص:٤١٨.

كله والمخلوقات جميعها وتسخيرها لتوافق وجود الإنسان، وانتهاء الكائنات كلها إلى غاية جلية واضحة خلقت أساساً لأجلها لَتدل دلالة عقلية قطعية على وجود خالق لهذا الكون متصف بصفات الكمال، وتعد حجةً جدليةً في مواجهة شبهات الفكر الإلحادي المعاصر.

النوع الثاني: دليل الاختراع:

إن المتأمل في القرآن الكريم يرى ثمة آيات جمة عن الخلق والإيجاد ترشدنا إلى النظر والتفكر في جواهر الأشياء الموجودة لمعرفة الاختراع الحقيقي في الموجودات جميعها[٦]؛ ذلك لأن معرفة جوهر الشيء وحقيقته يستلزم معرفة المخترع.

وقد استنبط الأستاذ النورسي هذا الدليل من القرآن الكريم وصاغه صياغة عقلية فلسفية كلامية مواجهاً بها شبهات الفلاسفة في عصره، إذ قال:"إن الله قد أعطى كل فرد، وكل نوع، وجودًا خاصًا، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة، فلا نوع يتسلسل إلى الأزل، لأنه من الممكنات"[٧]، وذكر من أدلة الاختراع قوله تعالى: **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء وكيل}** (الزمر: ٦٢)، وقوله تعالى: **{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ**

(٦) ينظر: قوله تعالى: (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤)، (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الرعد: ٣)، (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم: ٢٥)، (لأُولِي الأَلْبَابِ) (ص: ٤٣).

(٧) النورسي، **صيقل الإسلام**، المصدر السابق، ص:١١٤.

تُرْجَعُون} (يس: ٨٣)، وفسر الآيتين تفسيراً تحليلياً أثبت من خلاله أن لكل موجود علامةً تدل على وجوب وجود الله وتشهد على ووحدانيته وعظمته، إذ قال:"إن لم تنطفئ جذوة عقلك ولم تفقد بصيرة قلبك فستفهم أن جعل الشيء الواحد كل شيء بسهولة مطلقة وانتظام كامل، وجعل كل شيء شيئًا واحدًا بميزان دقيق، وانتظام رائع، وبمهارة وإبداع، ليس إلا علامة واضحة، وآية بينة لخالق كل شيء وصانعه"[٨].

ويرى البحث أن النورسي قد استنطق الجماد بدليل الاختراع واشهد الكائنات بأنواعها وأشكالها كافةً على وجوب وجود خالقٍ أزلي. وأسلوبه هذا يعد حجةً برهانية للمستغربين في عصره، وحجةً جدليةً تلزم المذهب المادي القديم والمعاصر بالدليل الإني الذي يدل على المؤثِر بالأثر.

ثانيًا: الأدلة الكونية العلمية على وجود الله

إن الأستاذ النورسي كان عالماً بفقه الواقع ومستجدات عصره وتحديات الغزو الإلحادي لذا لم يقتصر على الأدلة النقلية في إثبات أصول الدين بل أدرك أن الصراع مع الملحدين يستلزم الاستدلال بالأدلة المسَلَّمة عندهم إلزاماً لهم ورداً عليهم في الوقت عينه، ويظهر ذلك في جوابه حينما سأله بعض الطلبة قائلين: "عرِّفنا بخالقنا فإن

(٨)سعيد النورسي، **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:٣٢٨.

مدرسينا لا يذكرون الله لنا، فأجاب قائلاً: "إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فأنصتوا لتلك العلوم دون المدرسين"[٩].

وقال الأستاذ في المثنوي:"فكل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جل جلاله. فبينما تراها تتردد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها، إذا بها تنتعش وتسلك طريقاً معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالةٍ منتظمةٍ، وتسير وفق قانون مسدد وتتوجه إلى قصد معين. فتنتج حِكَماً ومصالح تبهر الألباب فتزيد سطوع الإيمان بالله في اللطيفة الربانية الممثلة لنموذج عوالم الغيب في الإنسان... فكل ذرة من الذرات كما أنها تدل على الخالق الحكيم بوجودها المنفرد ..فإن هذه الدلالة تتزايد باعتبار كون الذرة جزءاً من مركبات متداخلة متصاعدة .."[١٠].

ويرى البحث أن استدلاله هذا يعد حجة جدلية بمفهومه ملزمة للخصم لأن وجه الاستدلال في مفهوم كلامه: أن المخلوقات تنتسب إلى خالقها وتعتمد عليه في حركاتها وتتعلق به كتعلق الأثر بالمؤثِر والسبب بالمسبب والعلة بالمعلول، وهو تعلق جبري لأنه يمتنع علماً

---

(٩)سعيد النورسي، **الشعاعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:٢٤٣.

(١٠) النورسي، **المثنوي العربي النوري**، المصدر السابق:٤١٢.

وعقلاً ترك الكائنات بلا مدبر أو إسنادها إلى المادة الجامدة التي لا أمر لها في تدبير أمور الكون وتنظيمها فضلاً عن إيجادها من العدم.

وقد تناول الأستاذ قضية النظام الكوني في مواضع عدة من رسائله وبرهن بدليل النظام المحكم على وجود منظم متصف بصفات الكمال منزه عن النقص والمثالب، من خلال رؤيته خضوع الكائنات جميعها والكون بأكمله لقانون حكيم ونظام دقيق، إذ بين أن دورانَ الكواكب جميعها بشكل منظم بحيث تسبح نجمة في مسارها المعين بطريقة مستقيمة بدون الانحراف، وارتباط بعضها ببعض بقوة الجاذبية، ووجود معاونة عجيبة بين الكائنات جميعها من الذرة إلى المجرة، وملائمة كوكب الأرض من مناحي الحياة جميعها لحياة الإنسان وباقي المخلوقات، تعدُ حجةً برهانيةً على واجب الوجود (الله) سبحانه وتعالى[١١].

ثالثًا: الأدلة الفلسفية الكلامية على وجود الله

اعتمد فلاسفة المسلمين ومتكلميهم على دليل الإمكان والحدوث في إثبات وجود الله ووجوبه، وقد تنوعت آراؤهم في ذلك، فعلماء الكلام المهتمين بالفلسفة اعتمدوا دليل الإمكان في حين أن المتكلمين الخلص اعتمدوا دليل الحدوث[١٢]، وقد اعتمدهما النورسي معاً بعد أن

---

(١١) ينظر: سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري**، المصدر السابق، ص:٦٢، النورسي "**الكلمات**" المصدر السابق: ص:٦٤٢-٦٤٤.

(١٢). ينظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **كتاب المواقف**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٧م) ج٣، ص٧: -٨.

انتقد المتكلمين والفلاسفة نقداً بناءً في طريقة تناولهما الدليلين، إذ قام بتجريدهما مما اعتورهما من المصطلحات الجافة، وأبعدهما من أساسهما القديم القائم على المصطلحات التجريدية، فتناولهما بأسلوبٍ مناسبٍ لعقول معاصريه، وعدهما من أقسام الدليل الإني الذي يدل بالأثر على المؤثِر وبالحدث على المحدِث، وبالخلق على الخالق(١٣).

١–دليل الإمكان:

لا يخفى أن جميع الأمور والأشكال الموجودة في الذهن متصفة بأحد هذه الأوصاف الثلاثة: (واجب الوجود، مستحيل الوجود، ممكن الوجود والعدم). فالمتصف بواجب الوجود هو ما كان وجوده واجباً بالضرورة العقلية غير مفتقر إلى علة توجده بحيث يحيل العقل عدمه. والمتصف بالاستحالة هو ما يحيل العقل وجوده. والمتصف بالممكن هو ما كان وجوده وعدمه سيان بحيث يقبل العقل وجوده وعدمه، ولا يحيل أياً منهما غير أن وجود الممكن يحتاج إلى علة توجده(١٤).

وقد تناول النورسي هذا الدليل إذ قال "إن الحيوان الميكروسكوبي الذي لا يُرى بالعين بلا واسطة، اشتملت صورته الصغيرة على ماكينة دقيقة بديعة إلهية. فبالضرورة والبداهة إن تلك

(١٣) ينظر: سعيد النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:١٤٧–١٤٦، ومحسن عبد الحميد، **النورسي متكلم العصر** (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠٠٢م) ص:١١٥–١١٦.

(١٤) ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية** (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧م) الطبعة الثامنة، ص:٧٩–٨٠.

الماكينة الممكنة في ذاتها وصفاتها ما وجدت بنفسها بلا علة لإمكان ذاتها وصفاتها وأحوالها. والممكن متساوي الطرفين ككفتي الميزان، ولو وجد الترجح لكان في العدم. فباتفاق العقلاء لابد لها من علة مرجِّحة. ومن المحال أن تكون العلة أسبابا طبيعية....."[١٥].

وهكذا يثبت الأستاذ أن رجحان الوجود على العدم في الممكنات؛ حجةٌ برهانية على وجود مرجح أخرجه من حيز التساوي بين الوجود والعدم، إلى حيز الوجود، ولا يكون هذا المرجح إلا واجب الوجود؛ لأن ممكن الوجود إما أن يستمد وجوده من العدم وهو محال بداهةً، وإما أن يستمد وجوده من ممكن آخر، وهو مستحيل أيضا لاستحالة التسلسل والدور، فيقتضي أن يكون الموجِد هو الواجب الوجود (الله سبحانه وتعالى).

٢– دليل الحدوث:

اعتمد المتكلمون دليل الحدوث وبناه على مقدمتين: الأولى: ثبات حدوث العالم، والثانية إثبات أن كل حادث لابد له من محدِّث وتوصلوا إلى نتيجة: أن للعالم محدِّث واجب الوجود[١٦] ، ومعنى

---

(١٥) النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، المصدر السابق :١٤٧–١٤٨.

(١٦) ينظر: الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: فوقية حسين محمود (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م) ص:٩٠–٩٢. والآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، **غاية المرام في علم الكلام**، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة: المجلس

كلامهم أن المخلوقات جميعها في الكون متغيرة ومتحركة وهذا يومئ إلى أنها غير قديمة بلا ابتداء بل حادثة، والحادث لابد له من محدِّث وهو الله. وحري بالذكر أنهم يقطعون سلسلة الأسباب ببرهنة استحالة التسلسل والدور، ومن ثم يثبتون وجود واجب الوجود.

وتعرض النورسي لهذا الدليل متناولاً إياه بأسلوب سهل مفهوم للمتلقين إذ قال:"فان إحداث عوالم ذات حياة، وإيجاد كائنات موظفة في هذه الدنيا، إحداثاً وإيجادًا بكل علم وحكمة، وميزان وموازنة، وانتظام ونظام، واستعمالها بقدرة، واستخدامها برحمة في المقاصد الربانية، وفي الغايات الإلهية، وفي الخدمات الرحمانية، تدل بالبداهة على وجوب وجود ذاتٍ مقدسة جليلة لاحدّ لقدرتها، ولانهاية لحكمتها.."(١٧).

ويظهر مما سبق أن الأستاذ استخدم حجة خطابية مبنية على الظن الراجح، إذ جمع بين دليلي الحدوث والنظام وسخرهما لإثبات وجود محدثٍ منظمٍ لهذا الكون مستدلاً بالحدث على وجود محدِّث وبالنظام الموجود في الكائنات جميعها والتوازن الموجود في الكون على وجود منظم مدبر للكون مهيمن عليه.

رابعًا: دليل الفطرة والوجدان والحي على وجود الله

الأعلى للشئون الإسلامية) ص:١٦٥،١٦٢. النورسي، **الشعاعات**، المصدر السابق، ص:١٧٢.

(١٧) النورسي، **الشعاعات**، المصدر السابق، ص:١٧٣.

يعد هذان الدليلان من الأدلة البديهية على وجود الله لأنهما نابعان من شعور كامن في نفس الإنسان، وإحساس مجبول على جاذبيةٍ نحو الخالق وتعلق به غريزةً وطبعاً، بعيداً عن الاستدلال والتجربة العلمية.

دليل الفطرة: يقصد بالفطرة ما جبل الله الإنسان عليه في أصل الخِلقة من الأشياء المادية والأمور المعنوية الظاهرة والباطنة، التي يعد الإخلال بها إخلالاً بمقتضى الإنسانية[١٨] ، وقد أشار إلى ذلك الذكر الحكيم: {**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**} (الروم: ٣٠).

دليل الوجدان: يراد به الشعور المغروز في خلجات النفس والإحساس النابع من الفطرة السليمة بوجوب وجود الهٍ قادرٍ عادلٍ يتحكم في الكون، وهو الله سبحانه وتعالى[١٩] .

وقد ذكر الأستاذ النورسي هذين الدليلي واقترن بينهما في استدلاله على واجب الوجود، إذ قال: "لا يمكن أن يكون شيء

---

(١٨) ينظر: النورسي، **الكلمات**، المصدر السابق، ص:٢٠، ٧٧٩، وسعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها** (القاهرة: دار السلام، ١٩٩٦م) الطبعة الثالثة، ج١، ص:٢٧١.

(١٩) ينظر: النورسي، **الكلمات**، المصدر السابق، ص:٢٣٧، وسعيد النورسي، **مكتوبات** (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م) الطبعة السادسة، ص:٥٩٢، وسعيد النورسي، **اللمعات** (القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م) الطبعة السادسة، ،ص:١٦٣.

موهوم مُبدئاً لحقيقة خارجية. فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث أن الإنسان مكرم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يردّ هذا الاحتمال. إن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطّل العقلُ نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه... فالانجذاب والجذبة المغروز في الفطرة ليس إلا من جاذب حقيقي"(٢٠).

يفهم من كلام الأستاذ أن العقل لا يستقل بإدراك جوهر الإيمان، وأنه لا يمكن بناء أصول الإيمان على فكرة وهمية أو فرضية عارية عن الدليل، بل لا بد من سند وأدلة داعمة لذلك، ويرى أن الاستناد والاستمداد المغروزتان في وجدان الإنسان يجعلانه ينجذب نحو الإيمان بالخالق انجذاباً لا شعورياً، وهذا الميل الفطري والانجذاب الروحي يبرهن أن ثمة منجذب مهيمن على الكون قائم بتدبيره وتنظيمه.

ويرى البحث أن دليلي الفطرة والوجدان من الحجج الخطابية القائمة على الظن الراجح على برهنة وجود الخالق، وأنه يمكن الاستدلال بهما لتحقيق الإيمان في مواجهة المذهب المادي المعاصر لكن ينبغي تجديد صياغته بما يتناسب مع الصراع الحالي وذلك؛ لأن فطرة في زمننا مازالت قابلة للانحراف بفعل مؤثرات خارجية، والدليل

---

(٢٠) النورسي، **المثنوي العربي النوري**، المصدر السابق، ص:٤٢٠.

على ذلك أن عدداً غفيراً من العقلاء والأذكياء ألحدوا نتيجة تعطيل نوازع الفطرة وإشراقات الوجدان عندهم.

ويمكن برهنة دليل الفطرة والوجدان بأن ثمة أمثلة كثيرة من الواقع تدل على أن كثيراً من علومنا ومعارفنا لا دليل عليها سوى الشعور الفطري بها، إذ أنها لا تخضع للتجارب العلمية واكتشافاته. فعلى سبيل المثال وليس الحصر أن الطفل حديث الولادة ينساق بفطرته إلى ارتضاع ثدي أمه من دون أن يعلمه أحد، وكل كائن حي في هذا الكون مسوق بإحساس الفطرة التي فطر الله الأحياء عليها إلى الاستجابة لغرائزه ومطالب عيشه من دون أن يعرف أن الغرض من أفعاله هو المحافظة على سلالته من الانقراض، ويشعر الإنسان بالعواطف والوجدانيات، والشهوات، والآلام والملذات غير أنه لا يمكنه الاستدلال على ذلك بأكثر من أنه يشعر به[٢١].

فالشعور بالشيء دليل على وجوده فإذا كان الظمأ دليل على وجود الماء، فكذلك الافتقار إلى الخالق دليل على وجوده، ويتقوى هذا الدليل حينما تشترك البشرية جمعاء في الإحساس بمثل هذا الشعور. ومما لاريب فيه أن من هذه الإحساسات الفطرية المغروزة فينا إحساس الإنسان بوجود قوة مهيمنة على الكون ومدبرة متمثلة في واجب الوجود سبحانه وتعالى، والإنسان بفطرته ووجدانه مفتقر إلى

(٢١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، **براهين وأدلة إيمانية** (دمشق: دار القلم، ١٩٨٧م)، ص١٤٢-١٤٣.

هدايته ومعونته، مدركاً بأنه قريب منه قرباً معنوياً وإن كان ذاته غيباً عن حواسه(٢٢).

إن الدراسات الحديثة كشفت عن أمور جمة حرية بالتأمل والنظر فيها، منها إثبات أن فطرة وجود الله سبحانه وتعالى صفة عامة عند البشر أجمع قديماً وحديثاً، والدليل على ذلك أنه لم يعثر على أمة لا دين لها ، وقد أيد كثير من العلماء هذه الفكرة ،منهم أستاذ الطبيعة الحيوية الدكتور (بول كلارنس أبرسولد)، إذ عبَّر عن دليل الفطرة باتفاق الناس في الشعور المشترك وقال: "والإنسان على اختلاف أديانهم وأجناسهم وأوطانهم قد عرفوا منذ القدم وبصورة تكاد تكون عامةً مبلغ قصور الإنسان عن إدراك كنه هذا الكون المتسع، كما عجزوا عن إدراك سر الحياة وطبيعتها في هذا الوجود ..لو ذهبنا نحصي الأسباب والدوافع الداخلية التي تدعو ملايين الأذكياء من البشر إلى الإيمان بالله لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ولا عد ... والحق أن التفكير المستقيم والاستدلال السليم يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله"(٢٣).

---

(٢٢) ينظر: الميداني، **براهين وأدلة إيمانية**، المصدر السابق، ص١٤٤. وحسان عبد المنان محمود، **إثبات وجود الله في كتاب "في ظلال القرآن"** (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م)، ص:١٢.

(٢٣) نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، ترجمة: دمرداش عبد المجيد (بيروت: دار القلم) ص:٤١-٤٢.

وقد ذهب عدد غفير من العلماء إلى أن فكرة وجود قوى عظيمة مهيمنة على الكون ومدبرة له هي فكرة فطرية مغروزة في باطن الأنسان، وقد أوجدها فينا موجد وهو الله سبحانه. وعبر عن دليل الفطرة المهندس (كلودم هاثاواي) إذ قال: "فإنَّ إيماني بالله في الوقت الحاضر يقوم على أساس خبرة شخصية أو معرفة داخلية، وهي خبرة أو معرفة تتضاءل بجانبها جميع المجالات الفكرية ...لقد وجدت أن الإيمان بالله هو الملاذ الوحيد الذي تطمئن إليه الروح".[٢٤]

وقد أكد ذلك الفيلسوف المؤرخ ول ديورات في قوله :"وكثير من القبائل البدائية يستعمل كلمة (الله) لتعنى (السماء) ولفظ الله عند (اللوبارى) و(الدنكا) معناه المطر، وكذلك كان السماء عند المنغوليين هي الإله الأعظم، وكذلك الحال في الصين، وفي الهند الفيدية أيضاً معنى كلمة الله هو (السماء الوالدة)، والله عند اليونان هو سماء مرغمة السحاب، وهو (أوهرا) عند الفرس، أي السماء الزرقاء" [٢٥].

ويظهر مما سبق أن الإنسان مؤمن بالفطرة والوجدان، إلا أن دلالتهما على وجود إله حجة خطابية مبنية على الظن الغالب المقبولة عند العقلاء، إذ لابد من اتباع الأدلة العلمية والاستنتاجات العقلية المنطقية للوصول إلى نتيجة يقينية بأن وجود الله واجب عقلاً ومنطقاً

---

(٢٤) نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، المصدر السابق، ص:٩٤.

(٢٥) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٨م)، ج١، ص:١٠٣-١٠٤

غير أن ذلك غير كافٍ لأنه لا يمكن التمييز بين الإله الحق واله الباطل ومعرفة منهجه وتطبيق شريعته في الحياة بالعقل فحسب، بل لابد من الأدلة النقلية (الرسالات السماوية) والتفكير فيها بالمنهج العلمي وطريقة التحليل والاستنباط للوصول إلى معرفة إله الحق والدين الصحيح والصراط المستقيم المتمثل في اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

والمتابع لحياة الرسل والأنبياء والعلماء الصالحين يدرك أن إيمانهم بدأ فطرياً وجدانياً ثم توصلوا إلى معرفة اله الحق عن طريق الرسالات السماوية فعلى سبيل المثال أن لجوء الرسول محمد إلى غار الحراء والمكث فيه أياماً كان رحلة بحث عن اله الحق بعد أن كان مؤمنا بوجود إله بالفطرة ورافضاً لعبادة الأصنام، وقد عرف الله وشريعته بعد ما أوحي إليه. (٢٦)

المبحث الثاني

الرد على النظرية الداروينية

أولًا: مفهوم النظرية الداروينية:

تعد نظرية الداروينية في حقيقتها تأصيلاً لأثبات نظرية التطور والنشوء والارتقاء، أي أن الكائنات جميعها تطورت من خلية واحدة وجدت نتيجة عوامل طبيعية ومناخية متنوعة التي أدت إلى تجميع البروتينات، وجزيئات من عناصر أخرى –بطريقة المصادفة العشوائية– في خلية

(٢٦) ينظر: المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، تحقيق: علاء الدين زعتري (دمشق: دار العصماء)، ص :٢٢.

واحدة هي الأميبا. وإنها تمايزت وتغيرت ضمن شريط زمني طويل، إذ انشطرت إلى خليتين ثم إلى خلايا متعددة ومتنوعة، وهكذا حتى ظهرت الحشرات والحيوانات والإنسان، كما أن جزءاً آخر من الخلية انقسم، وتطور إلى أنواع من النباتات والطحالب والأعشاب، وأن تطور الإنسان أخذ جانباً آخر، وهو التطور في العقل والعلم(٢٧).

والحق أن واضع نظرية التطور تشارلز داروين لم ينفي وجود الإله بل كان يرى أن ثمة خالقًا للخلية الحية الأولى غير أنه اعتقد أن الطبيعة هي التي تولت تطوير تلك الخلية إلى ما نشهده اليوم من الكائنات المختلفة، والدليل على ذلك أنه صرح بذلك في سيرته الذاتية، إذ قال: "من الصعب جدًا بل من المستحيل أن نتصور كونًا هائلًا ككوننا وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء، أو لأن الحاجة أم الاختراع، وعندما أبحث حولي عن سبب الأول وراء هذا الوجود أجدني مدفوعًا إلى القول بمصمم ذكي، ومن ثم فإني أومن بوجود الإله"(٢٨).

---

(٢٧) ينظر: داروين تشارلس، **أصل الأنواع**، ترجمة: مجدى محمود المليجي (القاهرة: مجلس الأعلى للثقافة، ، ٢٠٠٤م)، ص:٥٧، ٦١-٦٤، ١٣٦-١٣٧، ١٤٨-١٥٠، ١٦٠-١٦١.

(28) Charles Darwin, *The Autobiography of Charles Darwin 1809-1882* (London: Collins, 1958), 92.

وقد أكد هذه الحقيقة عدد من العلماء منهم الدكتور عمرو الشريف في كتابه: **كيف بدأ الخلق**. ينظر: عمرو الشريف، **كيف بدأ الخلق** (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص:١٦٣، ١٧٦.

لكن حري بالذكر أن اليهود والمذاهب المادية استغلوا هذه النظرية، واتخذوها معتقداً لتأسيس الإلحاد، واستدلوا بها على إنكار وجود الخالق، وبرهنة الإلحاد. وقد أثرت هذه النظرية في أفكار الأوربيين تأثيراً كبيراً؛ وذلك لأنها ادعت المسلك العلمي التجريبي المبني على علم الأحياء والفيزياء، في الوقت الذي ضعف فيه الوازع الديني في أوربا نتيجة ظهور خرافات جمة من الكنيسة الكاثوليكية ومعاداتها للعلم آنذاك. وهذا ما أدى إلى انتشار الفكر المادي في المعاهد العلمية والجامعات في عموم أُوربا.

ثانيًا: الرد على النظرية الداروينية ببرهان العقل والمنطق والفلسفة:

حري بالذكر أن الأدلة التي ساقها النورسي في برهنة وجود الله هي بحد ذاتها تفند هذه النظرية. ففي دليلي العناية والاختراع بعد أن برهن وجود الإله شرع في الرد على النظرية الداروينية، فقد رد صراحة على (النظرية النشوء والارتقاء) حينما نفى أن تكون الأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة موجدة للأشياء والأنواع [٢٩].

مستدلًا بمعلولية الطبيعة وافتقارها إلى علة وجودها مستبعدًا بالقياس المنطقي الأَولى قابليتها على أن تكون علة ذاتية لوجود الكائنات وأنكر بالمنطق أن يكون الملزوم العام لازمًا بنفسه للملزوم الخاص، إذ المعلول المفتقر إلى علة لا يمكن عقلًا أن يكون معلِلًا، وكذلك الملزوم لا يكون لازمًا ذاتيًا. وقد أبان ذلك بقوله:" لا يقنع

(٢٩) ينظر: النورسي ، **صيقل الإسلام**، المصدر السابق: ص: ١١٥.

العقل ولاينجذب الفكر ولا يأنس نظر الحقيقة إلى كون آثار القدرة صادرة من صنعة هذه الطبيعة الشبيهة بالمطبعة، أو من أمور يسمونها قوى عاملة. علمًا أنها تفتقر إلى قابلية لتكون مصدرًا أو علةً لوجود هذه الكائنات. فليس هذا إلا التغافل عن الله الحكيم وإلا اضطرار المتولد من إلجاءات الانتظام الجاري في الكون فيتخيلون الطبيعة مصدرًا، وهي ليست إلا مسطرًا، وما محاولة إنتاج الملزوم الأخص من اللازم الأعم إلا قياس عقيم. وهذا القياس العقيم فتح الطرق الكثيرة إلى أودية الضلالة والحيرة".(٣٠)

وردًّ على نظرية (التطور من سلف واحد) حينما أكد أن كل فرد، وكل نوع، صادر مباشرةً من يد القدرة الإلهية الحكيمة، وإن الله قد أعطى كل فرد، وكل نوع، وجودًا خاصًا وأن وجوده متردد بين الإمكانات والاحتمالات وإن سلوكه الاحتمال الصائب من دون آلاف الاحتمالات الأُخرى.

فإنما يدل بالضرورة العقلية على وجود مرجح أرشده إلى ذلك الاحتمال الصائب إذ قال: "فكل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جل جلاله. فبينما تراها تتردّد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية، في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها، اذا بها تنتعش وتسلك طريقاً معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدّد، وتتوجه إلى

(٣٠) المصدر نفسه، ص: ١١٧.

قصد معين.. فتنتج حِكماً ومصالح تبهر الألباب... فان هذه الدلالة تتزايد، باعتبار كون الذرة جزءاً من مركبات متداخلة متصاعدة، ومن حيث الإمكانات والاحتمالات التي تسلكها، إذ لها في كل مركب مقام، وفي كل مقام نسبة معينة وارتباط معين، وفي كل نسبة لها وظيفة خاصة، وفي كل موقع تحافظ على التوازن العام، وفي كل وظيفة تثمر مصالح شتى وحكماً عديدة. في كل مرتبة اذاً تتلو الذرة بلسانها الخاص دلائل وجوب وجود صانعها الجليل وتظهر قصد خالقها الحكيم، وكأنها ترتل الآيات الكريمة الدالة على".(٣١)

وقد فنّد بالعقل والمنطق نشوء الحياة من المادة الجامدة إذ قال:" إن قبول احتمال تشكل الأنواع من أزلية المادة وحركة الذرات العشوائية وغيرها من الأمور الباطلة، إنما هو لمجر إقناع نفسي بشيء آخر غير الإيمان بالله، ولاينشأ هذا الاحتمال إلا من عدم الإدراك، وفساد الفكر، ولكن ما إن قصد الإنسان وتوجه بالذات إلى إقناع نفسه، فإنه سيقف على محالية الفكرة وبعدها عن المنطق والعقل".(٣٢)

وجعل التوازن الدقيق والإبداع الفائق في الموجودات علامةً على وجوب وجود الله، إذ استدل بالآثار على المؤثِر، قائلًا:" بينما يشاهد أكمل نظام وأدقه في كل شيء ابتداءً من جناح ذبابة صغيرة، ومن

---

(٣١) النورسي، **المثنوي العربي النوري**، المصدر السابق، ص:٤١٢.

(٣٢) ينظر: النورسي سعيد، **صقيل الإسلام**، المصدر السابق: ص: ١١٥.

بؤبؤ عينها ومن حجيرتها الصغيرة وانتهاء إلى الطائرات الجوية، تلك هي الطيور التي لا تعد ولاتحصى، والى المنظومة الشمسية، ففي كل شيء في الوجود يُرى أكمل نظام سواءً أكان جزئياً أم كلياً، صغيراً أم كبيراً. مما يثبت هذا النظام الأكمل إثباتا لا يحتمل الشك أن الشرك محال وجوده، وأنه معدوم أصلا، ويثبت أيضًا إثباتًا واضحاً وجود واجب الوجود ووحدته"(٣٣).

ثالثاً: الرد على الداروينية بالأدلة علم الكلام

قد فنّدَ الأستاذ النورسي النظريات الإلحادية من خلال تداوله للأدلة الفلسفية الكلامية كما ذكرنا مفصلًا، إذ برهن بدليل الإمكان استحالة رجحان الوجود على العدم بعد أن تساويا في الإمكان من دون مرجح(٣٤)، ونقض بدليل الحدوث نظرية أزلية المادة(٣٥).

رابعًا: الرد على الداروينية بالدليل العلمي:

إن إلمام النورسي بعلم الإحياء، وتتبعه للظواهر الطبيعية في البيئة المحيطة به دفعه إلى تفنيد نظرية التطور والصراع من أجل البقاء ببرهنته أنها قاعدة غير مطردة من خلال نقضها بأمور عدة، منها:

١–التكامل في وظائف الكائنات:

---

(٣٣) النورسي ،**الشعاعات**، المصدر السابق، ص:٥٩٩.

(٣٤) ينظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، المصدر السابق: ١٤٧–١٤٨.

(٣٥) ينظر: النورسي، **الشعاعات**، المصدر السابق، ص:١٧٣.

إذ استدل بالتنظيم الدقيق، والتناسق العجيب، والتساند المكين بين وظائف أعضاء الكائنات على تفند العشوائية والتطور الموهوم، إذ قال: "إننا نرى وظائف المخلوقات تنسج على منوال الحكمة، وتكال بميزان العدل، وهما من الدقة والحساسية بحيث لا يتصور الإنسان أفضل منها... ونرى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتنسقه بموازين دقيقة وحساسة، ...ونراها تمنح كل عضو تناسقًا لا عبث فيه، وموازنة لا نقص فيها، وانتظامًا لا ترى فيه إلا الإبداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر حتى تغدو المخلوقات نماذج مجسمة للإبداع والإتقان والجمال"(٣٦).

٢–العدل والتوازن بين الكائنات من حيث الاسترزاق

إن تتبع النورسي لمظاهر الاسترزاق في البيئة أوصله إلى أن الكائنات جميعها تسترزق بتوازن محكم وأن الرزق يتناسب عكسيًا مع الإرادة والاختيار، مبينًا أنه لو تناسب توافقياً –كما يزعم الداروينية–لاختل الميزان؛ ولأنعدم الكائنات الضعيفة، وساد الكائنات القوية. وقد أفصح عن ذلك بقوله: "إن تسارع أرزاق الأشجار إليها–وهي محتاجة للرزق–دون أن يكون لها اقتدار ولا اختيار ولا إرادة وهي ساكنة في أماكنها، وكذلك سيلان الحليب من تلك المضخات العجيبة إلى أفواه الصغار العاجزين، وانقطاع تلك النفقة مباشرة عنهم بعد اكتسابهم

(٣٦) النورسي، **الشعاعات**، المصدر السابق، ص:٢٤٩–٢٥٠.

جزءاً من الاقتدار ...ليثبت بداهة أن الرزق الحلال لا يأتي متناسبًا مع القدرة والإرادة وإنما يأتي متناسبًا مع الضعف والعجز اللذين يمنحان التوكل"[٣٧].

والباحث يؤيد النورسي في ما ذهب إليه من نقض الداروينية؛ لأن العلم الحديث اخفق في إحداث الحياة من المادة الجامدة، وأثبت العلم أن الخلية الحية أعقد من الأجهزة الإلكترونية جميعها، والآلات الميكانيكية التي أنتجتها التكنولوجيا الحديثة، وقد عجزت العلماء بعد المحاولات المتتالية التي استمرت عشرات السنين من صنع خلية واحدة من مواد غير حية، وقد توصل علماء الرياضيات إلى أن ظهور بروتين واحد مكون من ٥٠٠ حامض أميني (اللبنة الأساس للخلية) عن طريق الصادقة العشوائية تعد نسبة تكوينه (١/١٠^٩٥٠)، ومن المعلوم في علم الرياضيات أن نسبة (١/١٠^٥٠) يعد مساوياً للصفر ومستحيل الحصول علمياً فكيف بـ(١/١٠^٩٥٠)[٣٨].

([٣٧]) النورسي، **الشعاعات**، المصدر السابق، ص:٢٠٦.

([٣٨]) ينظر: هارون يحيى، **التصميم في الطبيعة**، ترجمة: محمد علي أورخان، (استانبول: د.ط، ٢٠٠٣م)، ص:١٨٣، وهارون يحيى، **خديعة التطور**، ترجمة: سليمان بابيارا، مراجعة: أحمد ممتاز سلطان محمد علي أورخان (استانبول: د.ط)، ص:١١٨-١١٩.

وقد أثبتت التطورات العلمية استحالة ظهور خلايا حية من مواد غير حية، وذلك عبر الأبحاث العلمية التي أجراها عالم الأحياء ألكسندر أوبارين التي استمرت سنوات عديدة، إذ لخص نتاج أبحاثه في قوله:" أن أصل الخلية يعد نقطةً سوداء تبتلع نظرية التطور برمتها"(٣٩). وقد تراجع عدد غفير من العلماء عن الإيمان بالنظرية الداروينية بعد الاكتشافات العلمية التي أثبتت بطلانها، وهذا ما دفع العالم الفرنسي لويس باستور إلى الاعتراف بقوله: "لقد أصبح الادعاء القائل بأن المواد غير الحية تستطيع أن تنشأ الحياة في مهب الريح"(٤٠)، وهكذا أخفقت تجاربهم طوال القرن العشرين، وبقيت معضلة (تكوين الخلية الأولى) بلا جواب علمي.

ويقول أستاذ العلوم الطبيعية نوبلوتشي(٤١) "إن العلوم لا تستطيع أن تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في

(39) Alexander I, Oparin, *Origin of Life* (New York: Dover Publications, 1953), 196.

(40) Marcel Dekker, *Molecular Evolution and The Origin of Life* (New York: Sidney Fax, Klaus Does, 1977), 2.

(٤١) ايرفنغ وليام نوبلوتشي: هو أستاذ العلوم الطبيعية –حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة أيووا – أخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة – أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيغان منذ سنة ١٩٤٥ – أخصائي في وراثة النباتات

صغرها والتي لا يحصيها عد، وهي التي تتكون منها جميع المواد، كما لا تستطيع العلوم أن تفسر لنا بالاعتماد على فكرة المصادفة وحدها كيف تتجمع هذه الدقائق الصغيرة لكي تكون الحياة. ولا شك أن النظرية التي تدعي أن جميع صور الحياة الراقية قد وصلت إلى حالتها الراهنة من الرقي بسبب حدوث بعض الطفرات العشوائية والتجمعات والهجائن، نقول إن هذه النظرية لا يمكن الأخذ بها إلا عن طريق التسليم، فهي لا تقوم على أساس المنطق والإقناع".[٤٢]

كان الأستاذ النورسي من الذكاء بمكان حينما استدل بالرهان الكوني العلمي في إثباته لحقيقة وجود الخالق[٤٣]، وذلك لأن البرهان العلمي من أقوى أدلة العصر؛ لأنه كلما تطور العلم تجلت حقيقة الخلق. وقد أدت البراهين العلمية واكتشافاتها إلى تراجع كبار الملحدين وفلاسفة العصر عن الإلحاد، ومنهم الفيلسوف البريطاني أنتوني فلو(Antony Flew) الذي كان من أشد الرافضين لفكرة الإله، إلا إنه فاجأ العالم –بعد أن بلغ من العمر ثمانين عاماً–أنه يؤمن بالإله

ودراسة شكلها الظاهري. نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، المصدر السابق: ٥٧.

(٤٢) نخبة من العلماء الأمريكيين، **الله يتجلى في عصر العلم**، المصدر السابق، ص: ٥٨.

(٤٣) ينظر: المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا الفصل.

ونشر كتاباً سماه: (There is a GOD, How the World is Notorious Atheist Changed His Mind) (هناك إله، كيف عدل أشرسُ ملحدٍ عن الإلحاد) [٤٤]، وذكر أن البرهان العلمي الكوني هو أحد أسباب إيمانه، إذ قال:" ولا شك أن من أشد البراهين وأضبطها على وجود الخالق هو برهان التصميم (Design Argument)، والبرهان الكوني (Cosmic Argument) يعني ببساطة أن دقة بناء الكون، وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام يشير إلى وجود مصمم ذكي، وبالرغم من أنني كنت من قبل من المعترضين بشدة على أن دقة التصميم تشير إلى وجود الإله، فإن إعادة النظر في البرهان، وفي أسلوب الاستدلال الفلسفي أوصلني إلى القرار بوجود إله حكيم خالق. ولا شك أن ما كشفه العلم الحديث من المعلومات الهائلة في مجال القوانين الطبيعية ونشأة الكون، وكذلك نشأة الحياة قد أمد هذا البرهان بالكثير من الأدلة التي أعانتني في الوصول إلى هذا الاستنتاج" [٤٥].

([44]) Antony Flew, *There is a God: How the World is Notorious Atheist Changed his Mind* (New York: Harper Collins e- books), 95.

وينظر: عمر الشريف، **كتاب رحلة عقل**، المصدر السابق: ص١٣.

([45]) Antony Flew, *There is a God*, 95.

وينظر: عمر الشريف،**كتاب رحلة عقل**، المصدر السابق، ص:٨٣.

ويرى الباحث أنه ينبغي الاعتماد على البراهين العقلية والفلسفية والأدلة الكلامية في مواجهة المذاهب المادية المعاصرة وتجديدها وبإعادة صياغتها مقرونة بالأدلة العلمية والاكتشافات الحديثة كنظرية الانفجار الكبير (Big Bang) التي اكتشفت في مطلع القرن العشرين، وأُثبتت بوصفها حقيقةً علميةً في نهاية القرن العشرين، ومفادها أن الكون بأبعاده المادية والزمنية كلها نتج عن حدوث انفجار كبير. وقد اتفقت المراكز العلمية الحديثة على أن الانفجار الكبير هو التفسير العلمي العقلاني الوحيد المقبول عن بداية نشوء الكون، وأنه حادث غير أزلي (٤٦).

وحري بالذكر أن هذه الحقائق كانت معدومة ولم تكتشف إلا في العصر الحديث من خلال الفيزياء الحديثة وقد سبقهم في ذلك القرآن العظيم كما هو جلي في قوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**} (الأنبياء: ٣٠). ومعنى الآية أن السماوات والأرض بما تحويه من مجرات وكواكب والتي تشكل بجموعها الكون كانت في الأصل كتلة متصلة بعضها ببعض ملتصقة وقوله تعالى:

---

(٤٦) ينظر: هارون يحيى، **المعجزات القرآنية**، كتاب إلكتروني منشور في موقع: http://www.harunyahya.com ،ص:١٠، وأوميد شمشك،، **الانفجار الكبير أو مولد الكون**، ترجمة: أورخان محمد علي (بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٨٦م)، ص:٢٢.

{رتقاً} أي: ملتصقتين، إذ الرتق هو الالتصاق ثم حدث لهذه الكتلة الواحدة (فتق) أي انفصال وآلت إلى حدوث الكون [٤٧].

وهكذا يرى الباحث ضرورة الاهتمام بالأدلة التي استدل بها الأستاذ النورسي لمواجهة المذاهب الإلحادية المعاصرة المعتمدة في جل أفكارها ومعتقداتها على النظرية الداروينية. وينبغي تجديدها بما يتناسب مع تحديات العصر.

الخاتمة

بعد هذه الجولة فكرية المتواضعة في رسائل النور بحثًا عن مظان أقوال العلامة المجدد سعيد النورسي في برهنة وجود الله ومواجهته العلمية والفكرية للنظرية الداروينية، توصلنا إلى نتائج جمة منها:

سلك الإمام النورسي مبدأ التوازن والشمولية في إثبات العقائد الإسلامية، واتخذ من رسائل النور منهجًا جديدًا لإعادةِ بناءِ التوحيد على أسسٍ علمية محكمةٍ مبنيةٍ على الحجج البرهانية التي تفيد اليقين الجازم، والحجج الجدلية التي تلزم الطرف المخالف، والحجج الخطابية المبنية على الظن الراجح المقبول عقلاً ومنطقاً.

وقد التزم بالمنهج القرآني في برهنته لواجب الوجود ووحدانيته. وقد اعتمد الأمام النورسي على الفلسفة وعلم الكلام بعد تنقيتهما

---

(٤٧) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج٥، ص:٢٩٧.

من الأمور التي تخالف العقيدة الصحيحة في برهنة حقائق الإيمان.إذ قام بتجريدهما مما اعتورهما من المصطلحات الجافة، وأبعدهما من أساسهما القديم القائم على المصطلحات التجريدية، فتناولهما بأسلوبٍ مناسبٍ لعقول معاصريه. إن الدليلين (العناية والاختراع) التي استدل بهما النورسي يفندان النظرية الداروينية، ويردان صراحة على النظرية (الانتخاب الطبيعي) وذلك بنفيهما أن تكون الأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة موجدة للأشياء والأنواع، ويهدمان نظرية (التطور من سلف واحد) وذلك بإثباتهما أن كل فرد، وكل نوع، صادر مباشرةً من يد القدرة الإلهية الحكيمة.

المصادر والمراجع

ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي. **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تحقيق: محمد عابد الجابري. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي. **غاية المرام في علم الكلام**، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد. **كتاب المواقف**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٧م.

البوطي، محمد سعيد رمضان. **كبرى اليقينيات الكونية**، الطبعة الثامنة. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧م.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: فوقية حسين محمود. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م.

المباركفوري، صفي الرحمن. **الرحيق المختوم**، تحقيق: علاء الدين زعتري. دمشق: دار العصماء.

الميداني، عبد الرحمن حسن. **براهين وأدلة إيمانية**. دمشق: دار القلم، ١٩٨٧م.

النورسي، سعيد. **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **الشعاعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **اللمعات**، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **المثنوي العربي النوري**، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **صقيل الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر،٢٠١١م.

النورسي، سعيد. **لمكتوبات**، الطبعة السادسة. القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م.

أوميد شمشك. **الانفجار الكبير أو مولد الكون**، ترجمة: أورخان محمد علي. بغداد: مطبعة الشعب، ١٩٨٦م.

حسان عبد المنان محمود. **إثبات وجود الله في كتاب "في ظلال القرآن"**. بيروت: دار الجيل،١٩٩٥م.

داروين تشارلس. **أصل الأنواع**، ترجمة: مجدي محمود المليجي. القاهرة: مجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

سعيد حوى. **الأساس في السنة وفقهها**، الطبعة الثالثة. القاهرة: دار السلام، ١٩٩٦م.

عمر الشري. **كتاب رحلة عقل**، الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١١م.

محسن عبد الحميد. **النورسي متكلم العصر**. القاهرة: دار سوزلر، ٢٠٠٢م.

نخبة من العلماء الأمريكيين. **الله يتجلى في عصر العلم**، ترجمة: دمرداش عبد المجيد. بيروت: دار القلم.

ول ديورانت. **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٨م.

هارون يحيى. **التصميم في الطبيعة**، ترجمة: محمد علي أورخان. إستانبول، ٢٠٠٣م.

Dekker, Marcel. *Molecular Evolution and The Origin of Life*. New York, 1977.

Flew, Antony. *There is a God: How the World is Notorious Atheist Changed His Mind*. United States, Harper Collins e- books.

Oparin, Alexander I. *Origin of Life*. New York: Dover Publications, 1953.